(شكل ١٥) مادنا دل أربى (عذراء المنتقمات)
ق معرض أفيزى بفلورنس — تصوير اندريا دلى سارتو

Contoh Soal.com

براعته فى التلوين — فى عمقه ، وتدرجه ، وشفيفه — لترفع صورة فوق صور تيشيان Titian ، وتنتوريتو Tintoretto وڤيرونيرى Veonese لما فى هذه من إسراف كثير فى التلوين . نعم إن صور أندريا ينقصها التنوع ، فهى تتحرك داخل دائرة من الموضوعات والإحساسات شديدة الضيق ، فصور العذراء التى تبلغ المائة عدا كلها صورة من الأم الشابة الإيطالية ، المتواضعة ، المحبة ، المكتظة بالحلاوة ، ولكن ما من أحد قد فاقه فى براعة التكوين ، وقلما بزه أحد فى التشريح ، وعمل النماذج ، والتصميم . ويقول ميكل أنچيلو فيه : « إن فى فلورنس إنساناً صغيراً إذا اشتغل بأعمال عظام جعل العرق يتصبب من جبينك » (٣٧) .

ولم تطل حياة أندريا نفسه حتى يصل إلى درجة النضج الكامل ، ذلك أن الألمان الظافرين استولوا على فلورنس فى عام ١٥٣٠ ، ثم نشروا فيها عدوى الطاعون ، وكان أندريا من أوائل ضحاياه ؛ وتجنبت زوجته حجرته فى تلك الأيام الأخيرة المضطربة ، وكانت هى التى أثارت فيه آلام الغيرة التى تصحب الزواج بالحسان من النساء ، وقضى الفنان الذى محياها تكاد تعز على الموت ، وليس إلى جانبه أحد ، وهو فى الرابعة والأربعين من عمره .

وبعد فإن من واجبنا أن ننظر إلى الفنانين القلائل الذين ورد ذكرهم فى هذا الباب ، لا على أنهم هم وحدهم الجديرون بأن تسجل أسماؤهم فيه ، بل على أنهم ممثلون لا أكثر لما كان فى هذا العصر من عبقرية مرنة نيرة . فقد وجد فى هذا العصر مثالون ومصورون غيرهم ، لا يزال لهم فى المتحف وجود كوجود الأشباح — نذكر منهم بينيديتو دا روڤيتسانو Bendetio da Rovezzano ، وفرانشيابجو Franciabigio ، وريدلفو جرلندايو Ridolfo Ghirlandaio ومئات آخرين غيرهم . وعاش فى ذلك العصر فنانون فى شبه عزلة ، منهم سكان الأديرة ومنهم غير رجال الدين ، كانوا لا يزالون

يمارسون الفن ذا الصلة القوية بهم فن تزيين المخطوطات ، نذكر منهم الراهب يوستاتشيو Eustachio ، وأنطونيو دى چيرولامو ؛ وعاش فيه خطاطون بلغ حظهم من الجمال درجة لا يسع الإنسان معها إلا أن يعذر فيدريجو الأربنوى Federigo of Urbino حين يتحسر لاختراع الطباعة ؛ وكان هناك فنانون يتقنون أعمال الفسيفساء ، ويحتقرون التصوير لأنه فى رأيهم زهو زائل لا يدوم أكثر من يوم ؛ وكان هناك حفارون فى الخشب أمثال بتشيو دانيولو Baccio d'Agnolo ازدانت بيوت فلورنس بكراسيهم ، ونضدهم ، وصناديقهم ، ذات النقوش المحفورة ؛ وكان هناك من لم يحفظ التاريخ أسماءهم من العاملين فى الفنون الصغرى . ذلك أن فلورنس قد احتوت ثروة ضخمة من الفنون استطاعت بها أن تتحمل معها انتهاب الغزاة ، ورجال الدين ، وأصحاب الملايين : من عهد شارل الثامن إلى هذه الأيام ؛ ولا تزال تحتفظ بقدر من روائع الصناعة الدقيقة يبلغ من الكثرة حداً لم يستطع معه إنسان فرد أن يحصى جميع الكنوز التى ادخرت فى تلك المدينة وحدها خلال قرنى النهضة ، أستغفر الله بل خلال قرن واحد منهما ؛ لأن عصر فلورنس العظيم فى الفن بدأ حين عاد كوزيمو من منفاه سنة ١٤٣٤ ، واختتم بوفاة أندريا دل سارتو سنة ١٥٣٠ . ذلك أن الشقاق الداخلى : وعهد سفنرولا المتزمت ، وما عانته المدينة من حصار ، وهزيمة ، ووباء قد أخمدت كلها روح أيام لورندسو المرحة ، وحطمت قيثارة الفن الهشة .

غير أن الأوتار العظيمة كانت قد ضربت ، وتردد صدى موسيقاها فى طول شبه الجزيرة وعرضها . فكانت الطلبات تنهال على فنانى فلورنس من سائر المدن الإيطالية ، بل جاءتها أيضاً من أسبانيا ، وفرنسا ، وبلاد المجر ، وألمانيا ، وتركيا . وهرع إلى فلورنس ألف فنان ليغترفوا من بحر فنها العباب ، ويكون كل واحد منهم طرازه — پيرو دلا فرانتشسكا

Piero della francesca وبيروچينو Perugino ، ورفائيل Raphael . . . ونقل مائة فنان وفنان إنجيل الفن من فلورنس إلى خمسين من المدن الإيطالية وإلى البلاد الأجنبية . وفى هذه المدن الخمسين كانت روح العصر وذوقه ، وسخاء ذوى الثراء ، وتراث الفن تعمل كلها متضامنة مع الحافز الفلورنسى ؛ فلم تلبث إيطاليا كلها من جبال الألب إلى كلبريا Calabria أن أخذت تمارس فنون التصوير ، والنحت ، والبناء ، والتأليف والغناء ، فى سورة من الإبداع والابتكار ، يخيل إلى الإنسان معها أنها ، فيما انتابها من حمى العجلة ، كانت تدرك أن هذه الثروة الضخمة لن تلبث أن تبيد فى أتون الحرب العوان ، وأن كبرياء إيطاليا ستزول حين يطؤها الطغاة الأجانب بالأقدام ، وأن سجون العقائد التعسفية ستغلق أبوابها مرة أخرى على عقل إنسان النهضة الخصيب ، الوفير ، العجيب .